# شهر رمضان السّبيل الأسهل لفرصتنا في التّغيير إلى الأحسن والتّرقّي إلى الأفضل

## 22-03-2024

الحَمْدُ للهِ مُجْزِلِ العَطَايَا وَالهِبَاتِ، جَعَلَ رَمَضَانَ فُرْصَةً لِتَطْهِيرِ النَّفْسِ وَمَجَالًا لِتَغْيِيرِ العَادَاتِ، فسبحانه من إله أمر عباده بقَمْع النفوس عن شهواتها. وشرع لهم من العبادة ما يكون كاسرا لسَوْراتها. وجعل راحة القلب في تعبها. وسعادته في خمود لهبها. ولا أقهر لها عن الرجوع. من تجرّع كؤوس الظمإ والجوع. ولذلك كان الصيام جُنَّة من الذنوب. وجَنّة تسرح في رياضها القلوب. وَنَشْهَدُ أَن لاَّ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، جعل رمضان مدرسة تربية وتدريب وتمرين، فيها يتربّى المسلم على إخلاص العبادة لرب العالمين، ويتمرّن على الإقبال على الأعمال الصالحة بجدّ المجتهدين، وبنشاط المتّقين، وَنشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وصفيّه من خلقه وخليله. الأسوة الحسنة للمقرّبين. والقدوة الطيّبة للصالحين. وصاحب لواء الشفاعة الأعظم للخلائق أجمعين. حتى النبيئين والمرسلين، اختاره الله تعالى مثالاً لأهل طاعته، ونموذجاً قويماً لأهل مودّته، وأمرنا أن نتأسّى به في هديه وسَيْره وسيرته. وقال لنا فيه كما في سورة الأحزاب: ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا.((

محمّد المصطفى الهادي لسنّتهِ * مؤيَّدٌ طاهرٌ برٌّ بأمّتهِ

بشرى لكم وتهاني أهل ملّتهِ * إن شئتُمُ أن تكونوا في شفاعتهِ

صلّوا عليه وزيدوا في محبّتهِ

اللهم صلِّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد سبب هدايتنا، وسرّ عنايتنا، وباب سعادتنا، والشفيع الأعظم لنا يوم بعثنا وحشرنا ونشرنا، وعلى آله أهل الصدق واليقين. وصحابته المُعينين له على أعباء هذا الدين، وورثته

الحاملين لواء رسالته من بعده أجمعين، وعلى كلّ من هو عامل بشريعته، مُنفِّذ لسنّته. صلاة ينوّر الله تعالى بها قبورنا، ويحشرنا بها تحت لواء شفاعته، ويجعلنا بها جميعاً من أهل جواره في جنّته، بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربَّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إِنَّنَا نَعِيشُ فِي رِحَابِ خَيْرِ الشُّهُورِ وَأَفْضَلِهَا، إِنَّهُ رَمَضَانُ، الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ مِفْتَاحًا لِتَغْيِيرِ العَادَاتِ، وَفُرْصَةً لِلرُّقِيِّ فِي سُلَّمِ الكَمَالَاتِ، يَقُولُ نَبِيُّنا الكَرِيمُ صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: ((إِذَا كَانَتْ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَنَادَى مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ. وللهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ))، فَفِي الحَدِيثِ حَثٌّ عَلَى اسْتِغْلالِ الأَوْقَاتِ، وَبَذْلِ الخَيْرِ وَالمُنَافَسَةِ فِي العَمَلِ الصَّالِحِ، وَلا يَلِيقُ بِالمُؤْمِنِ الحَقِّ إِلَّا اسْتِزَادَةٌ مِنَ المَعْرُوفِ، وَكَثِيرُ تَقَرُّبٍ إِلَى المَلِكِ الرَّؤُوفِ، طَلَبًا لِلْمَغْفِرَةِ وَسَيْرًا إِلَى تَكْفِيرِ الذُّنُوبِ. أيّها المسلمون. إنّنا نعيش في زمن التغيير. وعصر التقلّبات والتحوّلات. والتغيير إمّا أن يكون نحو الأفضل والأحسن. وإمّا أن يكون نحو الأسوأ والأقبح. وإنّنا نريد أن يكون رمضاننا هذا رمضان التغيير نحو الأجمل والأفضل والأحسن. ولهذا ستكون خطبة اليوم عن التغيير، ومع قول الله تعالى في سورة الرعد: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)). والمراد بهذه الآية: أنّ الله لا يغيّر ما بقوم من النِّعمة والعافية، ولا يسلبها منهم حتى يغيّروا ما بأنفسهم من طاعة الله عزّ وجلّ إلى معصيته، ومن الخير إلى الشر، ومن الرخاء إلى الشدّة. ويتّضح هذا المعنى في قوله تعالى في سورة الأنفال: ((ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)). ويمكن أن يُفهم من الآية كذلك: أنّ الله لا يغيّر ما بقوم من شر إلى خير، أو من شدة إلى رخاء حتى يغيّروا ما بأنفسهم. فإذا كانوا في صلاح واستقامة ثم غيّروا، غيّر الله عليهم بالعقوبات والنكبات، والشدائد والجدب والقحط. وإذا كانوا في معصية ثم غيّروا، غيَّر الله حالهم من حال إلى أفضل حال؛

قال تعالى في سورة الأعراف: ((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)). فالتغيير عند الله له قانون، وهو كما قال سبحانه في سورة الإسراء: ((وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا))، وفي الحديث: ((البِرُّ لا يَبْلى، والإثمُ لا يُنسَى، والدَّيَّانُ لا يموتُ؛ فكُنْ كما شِئْتَ، كما تَدِينُ تُدانُ)). أيها الصائم! غيّرْ، اللهُ يغيّر، لا تغيّرْ، اللهُ لا يغيّر. أيّها المسلمون. والتغيير سنّة كونية، وقانون الوجود، والإستقرار وعدم الحركة موت وفناء. ومثل الإنسان والتغيّر كمثل جريان الماء بالنهر، فعندما يجري الماء ويتغيّر يبقى نقيا. أمّا عندما لا يتحرّك فإنه يَأْسَنُ. أيْ: يتعفّن. واقرؤوا إن شئتم قول الحق تبارك وتعالى في سورة المدثر: ((لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ))؛ فالإنسان إمّا أن يتقدّم، فإذا لم يتقدّم فإنه يتأخّر. و"مَن لا يتقدّم يتقادم، ومَن لم يتجدّد يتبدّد". ذلك بأنّ الكون كله في حركة مستمرّة، قال تعالى في سورة يس: ((لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)). والإنسان ينبغي أن يظلّ في حركة. ((يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ)). أيّها المسلمون. والتغيير إنّما يبدأ من الإنسان ذاته، لا مِن خارجه، وفي أمثالنا الشعبية: "وِينْ تحط نفسك تصِيبْها، النفس نفسك وأنت طبيبها"، فعليك تقع مسؤولية التغيير، فمنك تبدأ، وإلى الأمّة تنتهي. ومن أقوال الحكماء في ذلك: "قُدْ نفسك تَقُدْ أمّة، واصنع نفسك تصنع أمّة". وأوّل التغيير يبدأ بتغيير التفكير، تغيير العقلية، الغرور. غرور العظمة. وأنا أفضل الناس وأحسن الناس، ولذا القرآن بدأ بتغيير العقلية المريضة؛ لأنّ التغيير في التفكير يؤدّي إلى التغيير في المشاعر والسلوك. وممّا يساعدك على التغيير نحو الأفضل في شهر رمضان، شهر الصيام، ثلاثة أمور: إخلاص النيّة، والقيام بالأعمال الإيجابية، والتخلّص من الأعمال السلبية. أيّها المسلم الصائم. أمّا إخلاص النية لله في صيامك: فقد قال رسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: ((مَن صامَ رَمَضانَ إيمانًا واحْتِسابًا غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ،

ومَن قامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيمانًا واحْتِسابًا غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ))، وفي هذا دعوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لإخلاص النية. واحتساب الأجر من الله في الصيام والقيام، والتوكّل على الله. وإذا كنتَ تُخلص نيّتك في صيامك. فاخلص نيّتك في جميع أعمالك. وإذا كنتَ تُخلص نيّتك في شهر رمضان، فاخلص نيّتك في جميع الشهور. فإخلاصك في عملك، وتوكّلك على ربك يكسبك مزيدا من الحسنات، ويعينك على النجاح، ويحقّق لك السعادة في الدنيا والآخرة. أيّها المسلم الصائم. والصيام يساعدك على القيام بالأعمال النافعة والإيجابية، ففي البخاري: ((كانَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أجْوَدَ النَّاسِ، وكانَ أجْوَدُ ما يَكونُ في رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وكانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ في كُلِّ لَيْلَةٍ مِن رَمَضَانَ، فيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أجْوَدُ بالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ)). وفي أيضا عن أبي هُرَيْرَةَ، وفَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عنْهمَا، عَنِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ((أنَّ جِبْرِيلَ كانَ يُعَارِضُهُ القُرْآنَ))، فرسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثر في رمضان من الصدقات وقراءة القرآن، ولن تجد شيئا في رمضان أفضل من صُحبة القرآن. ومَن فاته الصيام في رمضان فليكثر من قراءة القرآن، وليكثر من كثرة الصلاة والسلام على خير الأنام. صلى الله عليه وسلم، أخي الصائم. أختي الصائمة، أكثروا من الصدقات في رمضان، وفي غير رمضان، فإنها تقرّبك من الله أكثر وأكثر، وعلى قَدْر مساعدتك للمحتاجين على قدْر عَوْن الله لك، ففي صحيح مسلم. قال رسول صلى الله عليه وسلم: ((مَن نَفَّسَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عنْه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ، وَمَن يَسَّرَ علَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عليه في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَن سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ)). ومساعدة المحتاج تليّن القلوب؛ ففي مسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه: ((أنَّ رجلًا شكَا إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قَسْوَةَ قلبِهِ فقال: إنْ أَحْبَبْتَ أنْ يلينَ قلبُكَ فَامْسَحْ رَأْسَ اليَتِيمِ، وأَطْعِمِ المساكينَ)). أيّها المسلم

الصائم. والصيام يساعدك على التخلّص من العادات السيّئة، والأعمال المحرَّمة، وهذا ما وجّهنا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله كما في صحيح البخاري: ((وإذَا كانَ يَوْمُ صَوْمِ أحَدِكُمْ فلا يَرْفُثْ ولَا يَصْخَبْ، فإنْ سَابَّهُ أحَدٌ أوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ))، وفي الحديث نهي عن الكلام الفاحش، وعن الصياح والخصام. وفيه أيضا قال رسول صلى الله عليه وسلم: ((مَن لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ والعَمَلَ به، فليسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ في أنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وشَرَابَهُ)). ومن مقاصِد الصَّومِ تحقيقُ التَّقوَى، وكَسْرُ الشَّهوةِ، وتَطويعُ النَّفسِ، وليس المقصود منه الإمتناع عنِ الطَّعامِ والشَّرابِ فَقطْ، بل يَمتنِعُ عن كُلِّ إثمٍ وشَرٍّ. حتَّى تَتحقَّقَ فائدَةُ الصَّومِ من تَهذيبِ النَّفسِ وتزكيتها؛ ولذلك حَذَّرَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم من ((قَول الزُّورِ والعَمَل به)). وكثير من العصاة في رمضان يتوبون إلى الله؛ فمَن كان يشرب الخمر في سائر الأيام فإنه في رمضان يتركها. ومَن كان يدخِّن ليلا نهارا، فإنه يتركه في رمضان، واللهَ أسأل أن يُعين كل مدخِّن على تَرْك التدخين، وأن يعينهم على التخلّص من هذه الآفة المدمِّرة للصحة والمال. أيّها المسلمون. وبالمناسبة أهمس في أُذُن إخواننا المدخِّنين أن يتخلّصوا من رائحة التدخين قبل دخول المسجد. خاصة في صلاة التراويح، وذلك بمضغ أوراق النعناع، أو استعمال معطِّرات الفم. وهي موجودة في الصيدليات بنكهات متنوِّعة، أو شُرْب قهوة، أو مضغ حبّات من القهوة بعد التدخين، وكذلك العلكة المعطَّرة؛ لأنّ رائحة التدخين كريهة لغير المدخِّنين، وقد تأذّى منها كثير من إخواننا، حتى إنّ بعضهم همّ بتَرْك مكانه وهو في الصلاة، والإنتقال إلى مكان آخَر. أقول لكم هذا حتى تمتثلوا قول ربكم في سورة الأعراف: ((يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ))، وقول رسولكم الكريم صلى الله عليه وسلم كما في البخاري: ((مَن أكَلَ ثُومًا أوْ بَصَلًا، فَلْيَعْتَزِلْنَا. أوْ قالَ: فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا. ولْيَقْعُدْ في بَيْتِهِ))، وذلك حتَّى لا يُؤْذيَ إخوانَه ممَّن يحضُرون صلاةَ الجماعةِ برِيحِ الثُّومِ والبصَل. وتجدر الإشارة كذلك. ونحن على أبواب الصيف. أن تنتبه إلى روائح

جواربك خاصة وأنّ سجّاد المسجد يمتصّ الروائح. أيّها المسلم الصائم. هذه خطوات أوّلية نحو تغيير نفسك نحو الأفضل. واعلم أنّ التغيير نوع من أنواع المجاهدة، والله يقول في سورة العنكبوت: ((وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ))، وأنه لا يتمّ التغيير إلا بتوفيق من الله عزّ وجلّ، قال تعالى في سورة هود: ((وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ))، فأكثر من الدعاء. ولنجتهد لنجعل رمضاننا هذا رمضان التغيير. وتحقيق التقوى. والسير نحو الأكمل. ولنسعى سعياً حثيثاً للوصول إلى الأفضل. فإنّ الله تبارك وتعالى يقول في سورة البقرة: ((وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ)). اللهم وفّقنا لما تحبه وترضاه. اللهم آت نفوسنا تقواها. وزَكِّها أنت خير مَنْ زكّاها، أنت وليّها ومولاها. اللهم ألهمنا رشدنا. وقنا شرّ الشيطان. وشرّ أنفسنا، ولا تكِلْنا إلى أنفسنا طرفة عين. اللهم ملّكنا أنفسنا ولا تسلّطها علينا. وأحسنْ اللهم عاقبتَنَا في الأمورِ كلِّها، وأجرْنَا منْ خِزْيِ الدنْيَا وعذابِ الآخرةِ. إنك على كل شيء قدير. اللهم اجعل لنا شهر رمضان شهر عزّ ونصر. وتمكين لأمّة سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلم. اللهم أعنّا فيه على ذِكْرك وشكرك وحُسْن عبادتك. اللهم ارزقنا فيه الجدّ والإجتهاد، والقوّة والنّشاط، وأعِذْنا فيه من السآمة والفَتَرة، والكسل والنّعاس، ووفّقنا فيه لليلة القدر، وأعظِم لنا فيها الأجر، واجعلها خيرا لنا من ألف شهر. اللهم إنّا نسألك رحمة تهد بها قلوبنا، وتجمع بها شملنا. وتلمّ بها شعثنا. وتردّ بها الفتن عنّا. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ